قراءة تحليلية في الفكر الإصلاحي والنقدي لدى نامق كمال

An Analytical Reading of Namik Kemal's Reformist and Critical Thought

إسلام شرقي"[1]

[1] **ط، جامعة يحي فارس – المدية –** islamchergui1507@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2025/11/ 03 **تاريخ القبول:** 2025/11/ 07 **تاريخ النشر:** 2026/01/ 10

ملخص:

أواخر العهد العثماني برز عدد من المفكرين والمصلحين الذين سعوا إلى تجديد الفكر الاجتماعي والسياسي في الدولة العثمانية، في محاولة منهم لمواكبة الحداثة الأوروبية، التي رأوا فيها سبيلًا لإنقاذ دولتهم من التراجع والانهيار الذي شهدته خلال تلك الفترة، ولعل من بين أبرز هؤلاء المفكرين والمصلحين هو الكاتب والشاعر والسياسي محمد نامق كمال.

يعدّ نامق كمال من رواد حركة الإصلاح والنهضة الفكرية في الدولة العثمانية، والمتأثر بمبادئ الثقافة الأوروبية من حرية وعدل ومساواة، والمدافع عن قيم المواطنة والهوية والقومية، وقد انعكست أفكاره وآراؤه وحتى انتقاداته بوضوح في مقالاته وأعماله الأدبية والفنية خاصة في الصحف والروايات والمسرحيات، التي شكلت نقطة تحوّل في الأدب التركي الحديث، بل وأسهمت في إرساء أسس الفكر القومي والدستوري في الدولة العثمانية.

الكلمات الدالة: الدولة العثمانية – نامق كمال – حركة الإصلاح – الأدب التركي .

Abstract:

In the late Ottoman period, a number of intellectuals and reformers emerged who sought to renew the social and political thought of the empire. Their efforts aimed to keep pace with European modernity, which they viewed as a path to saving their state from the decline and disintegration it was experiencing at the time. Among the most prominent of these thinkers and reformers was the writer, poet, and statesman Mohammed Namik Kemal.

Namik Kemal is considered one of the pioneers of the reform and intellectual renaissance movement in the Ottoman Empire. He was deeply influenced by European cultural principles such as liberty, justice, and equality and he strongly advocated for the values of citizenship, identity, and nationalism. His ideas, opinions, and even criticisms were clearly reflected in his literary and artistic works particularly in newspapers, novels, and plays which constituted a

turning point in modern Turkish literature and contributed to laying the foundations of constitutional and nationalist thought in the Ottoman Empire.
Keywords: Ottoman Empire; Namik Kemal; Reform Movement; Turkish Literature.

المؤلف المرسل: إسلام شرقي: islamchergui1507@gmail.com

مقدمة:

شهدت الدولة العثمانية خلال القرن التاسع عشر ميلادي عدة تحولات فكرية وثقافية عميقة، جاءت نتيجة لتراكم الأزمات الداخلية والضغوطات الخارجية، وقد كان من أبرز مظاهر هذه التحولات هو صعود طبقة جديدة من المثقفين والمتعلمين عرفت في الأدبيات التاريخية باسم "النخبة العثمانية"، وقد مثل هؤلاء جيلًا جديدًا جمع بين التكوين الإسلامي التقليدي الموروث والمعرفة الغربية الأوروبية الحديثة المكتسبة، هذا المزيج الثقافي والمعرفي مكنهم من لعب دورٍ محوري هام في بلورة مشروع إصلاحي جديد في الدولة العثمانية، ولعل من بين أبرز هؤلاء النخبويين الذين ساهموا في هذا التحول هو محمد نامق كمال.

لقد اتخذ نامق كمال من الكتابة أداة لطرح رؤيته الإصلاحية، والتي لم تخلوا من بعد نقدي اتجاه الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية في عصره، فقد جاءت أفكاره وكتاباته نثرًا وشعرًا ومسرحًا محملة ومشبعة بروح نقدية إصلاحية، في محاولة منه لإيقاظ الوعي الفكري والسياسي لدى العثمانيين، وسعى داعيًا إلى مفاهيم وأفكار جديدة كالحرية والعدل والمساواة، وإلى إقامة نظام قانوني جديد مبدؤه الأول هو الدستور، ولم تتوقف أفكاره عند هذا الحد بل دخل في صراعات ومناظرات فكرية وأدبية تعد من أبرز ملامح النقاش الثقافي حول هوية الأدب التركي العثماني، هذا ما يكشف عن عمق الصراع الفكري الثقافي خلال تلك المرحلة.

تتمحور هذه الدراسة حول إشكالية رئيسية وهي: إلى أي مدى ساهمت آراء وأفكار محمد نامق كمال الإصلاحية والنقدية في تشكيل وعي جديد بالدولة العثمانية خلال القرن التاسع عشر ميلادي، وكيف أثرت هذه الأفكار في مسار التحول السياسي والثقافي نحو الحداثة؟، وللإجابة على هذه الإشكالية تم الاعتماد على المنهج التاريخي التحليلي بغرض فهم سياق الأفكار الإصلاحية والنقدية لنامق كمال.

1 نشأة محمد نامق كمال:

1.1 النسب العثماني:

محمد نامق الملقب بكمال، هو ابن مصطفى عاصم بك، ابن شمس الدين بك قرين السلطان سليم الثالث(1789-1807م)، ابن القبطان والشاعر أحمد راتب باشا، ابن طوبال عثمان باشا الذي شغل منصب الصدر الأعظم مابين (1731-1732م) في عهد السلطان محمود الأول (1730- 1754م)، والدته فاطمة الزهراء هانم ابنة عبد اللطيف باشا، الذي شغل منصب محصل[1] في الدولة العثمانية.

ولد نامق كمال بتاريخ 17ذو القعدة 1256هـ الموافق لـ 21 ديسمبر 1840م بقصبة تكفور طاغي في تيكيرداغ بتركيا حاليا، وتوفي بتاريخ 20 ربيع الثاني 1306هـ الموافق لـ 02 ديسمبر1880م بجزيرة كريت باليونان حاليا، ودفن في بولاير التركية الواقعة بشبه جزيرة غالي بولي. في يوم ولادته أرّخ عارف أفندي أحد شعراء تلك الفترة شعرًا يمدح فيه بمولد محمد نامق كمال، وكتب قائلًا :

ايردى شرف بودهره محمد كمال ايله

ومعناه بالعربية : قد تشرف الدهر بمولد محمد كمـــال[2].

2.1 البدايات الثقافية لنامق كمال :

ولد نامق كمال في أسرة غارقة في التصوف الإسلامي متمسكة بعادات وتقاليد المجتمع الإسلامي الموروثة حيث بدأ مشواره التعليمي بالالتحاق بمدرسة "بايزيد" التي كانت أولى مدارسه، وبعد بضع سنوات انتقل إلى مدرسة "الوالدة" لكنه درس بها أشهرًا قليلة فقط، وخرج منها سنة 1268هـ الموافق لـ 1852م وهو في الثانية عشر من عمره، رغم أنه لم يلتحق بالمدارس إلا لفترة قصيرة لكنه أتقن عدة لغات كالعربية والفارسية والفرنسية وبداية من سن السابعة عشر من عمره بدأ يشغل بعض المناصب الإدارية، وكان أولها منصب مترجم في الدولة العثمانية[3].

كان نامق كمال منذ الصغر مهتمًا ومحبًا للشعر والشعراء، حيث كان شديد الإعجاب بأشعار إبراهيم شينازي أفندي[4] وهو أحد الأدباء في تلك الفترة، ولعل من أولى الأبيات التي نظمها نامق كمال كانت تلك التي تحاكي التاريخ العريق للدولة العثمانية، والتي تعكس الاعتزاز بالنسب العثماني وتمجد الجهاد والتضحية من أجل الوطن، حيث قال:

نحن سلالة الكرام من بني عثمان — اختمرت طبقتنا بدم الشـهـادة
ونحن أولى المجد والهمم العـــالية — الـذين خرجوا من عشيرة صـغيرة
دولـــة مسيطرة على العـــــالم — ونحن أصحاب السجايا الرفيعـــة

الـذين يرون في ميدان الحـــمية تراب القبر أهون من تراب المذلة[5].

2. أفكار نامق كمال وآراؤه:

1.2 : أفكاره وآراؤه حول الحرية والعدل والمساواة:

برزت ملامح التطور في المجتمع العثماني خلال القرن 19م بشكل خاص عبر الصحف والجرائد التي عبرت عن إيمان مشترك بالتقدم والحداثة، ودعت لتبنِي أفكار مشتركة عن الحرية والعدل والمساواة بين أبناء الوطن الواحد، وهذا ما سنراه يؤدي إلى بروز النزعة الوطنية القومية وإحياء الثقافة الحديثة في المجتمع العثماني[6].

خلال تلك الفترة لم تكن الصحافة مجرد وسيلة إخبارية فقط، بل كانت ضمن الأجهزة التي تعمل على تثقيف الشعب وتوعيته بمبادئ الحرية والعدل والمساواة[7]، وفي مقدمة هذه الكتابات التي سطرت على الصحف تبرز كتابات نامق كمال على نحوٍ خاص مدافعًا فيها عن هذه الأفكار والمبادئ، وانتقاده لنظام الرق والعبودية في المجتمع العثماني، فكان بذلك نامق كمال أول من اتجه إلى جيله بتأكيد فكرة أن الإنسان يولد حرًا وأن هذه الحرية ضرورية كضرورة الماء والهواء، وخّص هذا الجانب بعدة مقالات في صحيفة "تصوير أفكار"[8] وخلال تلك الفترة كان السلطان عبد العزيز(1861-1876م) قد شدّد ضغوطه على المثقفين والكاتبين في التعبير عن آراءهم وأفكارهم، وخاصة تلك المتعلقة بمبادئ الحرية والعدل والمساواة، فلم يتردد نامق كمال في الرد على هذه الضغوطات، وكتب مقاله الشهير على مجلة "عبريت" (العبرة)[9] رادًا فيه عن السلطان عبد العزيز قائلًا: "إن حق وواجب الإنسان ليس هو أن يحيا فحسب، بل يحيا ليكون حرًا"[10].

يُعتبر نامق كمال أول من تنادى بأفكار الحرية والعدل والمساواة في أدبيات الأتراك الحاضرة، واحتمل النفي والسجن في سبيل تحقيق هذه الأفكار والمبادئ، لكنه رغم ذلك لم يتراجع يومًا عن أفكاره ومبادئه التي رأى أنها السبيل الوحيد لإنقاذ الدولة العثمانية من الأزمات التي تعيشها، وفي كتاباته اعترف بعزته وشأنه العظيم الذي رثى به نفسه، فكتب قائلًا :

لو زالت أنقاض قبري ودرست معالمه فسيبقى اسمي حيًا بين قومي وهذا عزائي الوحيد[11].

لقد ناقش نامق كمال موضوع الحرية والمساواة في العديد من الصحف والجرائد الأخرى، حيث كتب مقالين في صحيفة "حريت" (الحرية)[12] التي أصدرها سنة 1868م، وجاء المقال الأول بعنوان: "الحق هو الأسمى ولا شيء يعلو عليه"، أما المقال الثاني فكان بعنوان: "استشيروهم في الأمور"، وتناول المقالين وبالخصوص المقال الأول أن واجب الحكومة العثمانية هو حماية حق الحرية، وأن هذه الحكومة لا يحق لها الحكم بالإكراه والهيمنة،

ويؤكد كلامه قائلًا: "إن المجتمع لا يكون حرًا إلا إذا كان أعضاؤه يتمتعون بحقوقهم الشخصية والسياسية"، ويتضح أن هذا القول يُعبر وبشكل موجز عن مدى فهم نامق كمال للحرية ومطالبته بنظام حكم تسود فيه الحرية والعدالة والمساواة[13].

أكد نامق كمال أيضًا على مبدأ المساواة في الحقوق والواجبات، وقال: "إن الله خلق الكل سواسية في الحصول على سعادة الدنيا"، وخص كلامه في هذا الجانب بشكل خاص عن المرأة وحريتها في روايته الشهيرة التي كتبها سنة 1876م بعنوان "رواية انتباه"(intibah)، والتي تعتبر بمثابة نقلة نوعية في الأدب التركي الحديث ومن خلال هذه الرواية أدان نامق كمال رق النساء ونظام الجواري والعبودية في الدولة العثمانية، واعتبر أن المرأة أمرٌ ملازم للرقي الحضاري وإنها ليست مجرد عبدةٍ عند سيدها، وفي مقال آخر على جريدة "تصوير أفكار" كتب مقالًا بعنوان: "تربية النساء على ضرورة تنمية القدرات البشرية للمرأة" وهو ما سلط فيه الضوء على الدعوة لتعليم المرأة وتثقيفها، وتمكينها من المشاركة الفعالة في المجتمع[14].

2.2 : أفكاره وآراؤه حول الوطنية والقومية :

عُرف نامق كمال بأنه شاعر الوطن القومي، وإن صحيفة "حرييت" كان لها تأثير كبير على جمهور القراء العثمانيين، ومن بين المقالات التي كتبت فيها أيضًا ما يتعلق بموضوع الوطن والوطنية والقومية، وكان أبرز المقالات في هذه الجريدة هو المقال الذي جاء تحت عنوان "حب الوطن من الإيمان" والذي قدم فيه نامق كمال أول تعريف للوطن قائلًا: "الوطن هو موطن الجماعة التي ينتمي إليها المرء"، ثم يطرح متسائلًا في كتاباته عن علاقة هذا الوطن بأفراد الجماعة الذين يعيشون فيه، ويكتب مجيبًا على تساؤله قائلًا: "الوطن منعمٌ كريمٌ "[15].

إلى جانب الصحف نجد أيضًا المسرح، وهو مأخوذ عن النماذج الأوروبية والتي كان أغلبها يتحدث عن إيجابيات الحضارة الغربية الأوروبية وأفكارهم وأساليب حياتهم، ومبادئ مختلفة مثل الحرية والقومية، وحب الوطن...إلخ، ولعل من أشهر المسرحيات التي اشتهر بها نامق كمال في تعبيره عن حب الوطن والوطنية هي مسرحية "وطن سلسترة" (Vatan Yahut Silistre)، وهي واحدة من أشهر وأهم الأعمال الأدبية التي قدمها نامق كمال، حيث تعد أول مسرحية عثمانية ذات طابع وطني سياسي، وقد أثارت جدلًا كبيرًا في وقتها سنة 1873م، حيث دارت أحداث هذه المسرحية حول المعركة التي حدثت بين العثمانيين والروس في مدينة سلسترة خلال أحداث حرب القرم (1853-1856م)[16]، وتجسدت أحداث المعركة في أن بطلًا من أبطال المعركة يدعى علي بك تلتحق به زوجته إلى المعركة متنكرة في زي رجل عسكري، لكن في الأخير يُكتشَف أمرها بأنها امرأة، ومن هنا نقل نامق كمال رسالة مفادها أن المرأة يمكنها أيضًا الدفاع عن وطنها والتضحية من أجله، وكانت هذه

المسرحية سببًا في نفي نامق كمال بعدما اعتبرتها الحكومة العثمانية عملًا تحريضيًا ضد معايير المجتمع المعترف بها في تلك الفترة.

كان نامق كمال من أوائل المفكرين العثمانيين الذين عبّروا عن الوطن بطريقة عميقة حيث سعى إلى غرس شعور الانتماء الوطني والقومي في قلوب العثمانيين، ولعل مسرحية "وطن سلسترة" التي كُتبت أيضا على شكل رواية كانت من أكثر الروايات دفاعًا وحبًا للوطن، حيث كتب في هذه الرواية عن الوطن قائلًا: "الوطن الذي لا يزال رجالنا يجهلون معناه، ولا تسمع نساؤنا باسمه هنا أعتبرها غطرسة، أعتبرها كبرياء، أعتبرها جنونًا، مهما كنت تحسب فأنا أرى أن البلد يحتاج إليك وإليّ"[17]، وبخصوص الدفاع عن الوطن يكتب قائلًا : "لو كان الأمر ممكنًا لاستخدمت جسدي الضعيف كدرعٍ لجميع إخوتي في هذا الوطن، وإذا أمكن فسأُبقِي وطني في قلبي إن لم يمزق صدري ولن أسمح لأحدٍ أن يلمس حجرًا واحدًا، هل تسمع !"[18].

3.2 : أفكاره وآراؤه حول السياسة والدستور :

لم يكن نامق كمال مجرد مدافع عن الوطن العثماني ومبادئ الحرية والمساواة، بل كان أيضًا من السياسيين المحنكين، فبالنسبة للسنوات التي قضاها نامق كمال خارج الدولة العثمانية أثناء نفيه كانت له بمثابة اكتساب للنضج السياسي، فالبيئة التي عاش بها (الدول الأوروبية) سمحت له وبشكل متزايد من نشر آراءه وأفكاره وحتى انتقاداته ضد نظام الحكم العثماني، وبشكل خاص أتيحت له الفرصة هناك للتعرف على المزيد من الأفكار والتقنيات وأساليب حياة جديدة لم يكن ليعرف عنها شيئًا في الدولة العثمانية، ومن الطبيعي أن هذا الاتصال المباشر بالعالم الغربي الأوروبي لم يكن من شئنه إلا أن يشكل إضافة إلى قوة التفكير والكتابة والإقناع التي تميز بها نامق كمال[19].

أكد نامق كمال أن الأمة العثمانية لها الحق في السيادة، ولذلك نادى بضرورة إقامة نظام دستوري في الدولة العثمانية، كما أكد أن الشريعة الإسلامية لابد أن تشكل مبدءًا أساسيًا في هذا النظام الدستوري الذي هو أصل القانون والسياسة، وفي سياق ذلك كتب مقالا بعنوان "وسائل إنقاذ الدولة العثمانية من الوضع الخطير الذي تعيشه"، ومن خلال هذا المقال أكد نامق كمال على أهمية الشريعة الإسلامية داخل الدولة العثمانية حتى تتمكن من العيش لفترة أطول، كما أكد بأن الدولة العثمانية يجب أن تكون مرفقة بنظام دستوري، ويكتب قائلًا في هذا الصدد: "إن أي شكل من أشكال الحكومة يتطلب وجود رابطة اجتماعية وسياسية للحفاظ على تماسك الدولة والمجتمع"، والمقصود هنا من الرابطة السياسية هو الدستور[20].

دعا نامق كمال إلى فصل صارمٍ بين السلطات وإلى ضرورة اعتماد نظام حكم دستوري في الدولة العثمانية، يكون قادرًا على أن يُتيح لجميع المدنيين إمكانية التعبير عن تطلعاتهم وأفكارهم وحتى التعبير عن آراءهم بكل حرية ودون أي قيود، وفي هذا السياق يؤكد فكرة الحكومة التمثيلية بأنها لا تتطلب إلا إعادة حيوية لكي تنسجم انسجامًا تامًا مع متطلبات الدولة الحديثة[21].

3. كتابات نامق كمال بين النقد والجدال الأدبي :

3.1 النقد التاريخي عند نامق كمال :

اشتهر نامق كمال بكثرة النقد في كتاباته خاصة الكتب التي ألفها، ولعل من بين أبرز هذه الكتب هو كتاب "فاتحة الفتوحات العثمانية"، الذي يعتبر بمثابة سرد بسيط لتاريخ الدولة العثمانية مع تسليط الضوء على الفتوحات الأولى للعثمانيين، لكن في هذا الكتاب كان نامق كمال غير معجب بالقوانين التي وضعها السلطان سليمان القانوني (1520ـ1566م) فكتب قائلًا: "إن القانون الذي وضع في عهد سليمان ليكون دستورًا للعمل في جميع طبقات الحكومة كانت أكثر أحكامه مناقضة لقوانين الطبيعة"، وهنا كان يقصد أن تلك القوانين كانت تخدم الطبقة الحاكمة فقط، ولم تكن لتخدم عامة الناس، ويضيف بعد ذلك قائلًا: "لا نريد بذلك أن نغض من كرامة السلاطين العظام ونترك الشعب، فقد كانت أحواله أيضًا خامدة وهامدة، لكن الملوك كانوا مرآة لرعاياهم"[22].

ومن خلال دراستنا لهذا الكتاب نجد أن نامق كمال قد صوب سهام انتقاداته أيضًا إلى شيوخ الإسلام في الدولة العثمانية، وانتقد خشيتهم من قول الحقيقة أمام سلاطينهم، وكتب عنهم قائلًا: "أصبح الرياء مقام الإخلاص، والمجاملة مناب الحقيقة، إلى حد أن أصبح شيخ الإسلام يقابل أوامر السلطان ونواهيه بقوله ما رآه السلطان حسنا فهو حسن، وبمثل هذه العراقيل الهائلة والموانع وقف الشعب لا يقدم قدمًا إلى الأمام"[23].

لعل من أبرز السلاطين الذين أعجب بهم نامق كمال هو السلطان محمد الفاتح (1451ـ1481م) والذي خصه بتأليف كتاب تحت عنوان: "سيرة الفاتح"، حيث أن هذا الكتاب لا يقتصر على العمل السردي التاريخي لإنجازات السلطان محمد الفاتح بل يحمل في طياته رسائل فكرية وسياسية، التي حاول نامق كمال من خلالها أن يبرز عظمة الدولة العثمانية وقوة سلاطينها مقارنة بسلاطين عصره، حيث كتب قائلًا: "شأن العاجز في الشدة اليأسُ والقنوط، وشأن القادر الثباتُ والمثابرة على العمل كذلك كان شأن الفاتح"[24].

يعتبر هذا الكتاب أحد الأعمال التي تناولت التاريخ الإسلامي العثماني بروح قومية ووطنية، فهو يندرج ضمن مشروع نامق كمال لإحياء روح النهضة للأمة العثمانية حيث كتب في هذا الصدد قائلًا: "ولو أن خلفاء

الفاتح مشو على طريقته وضربوا على قالبه لكانت القسطنطينية اليوم محور العلوم وقطب دائرة التمدن العصري"[25].

3.2 صراع الأدب والفكر عند نامق كمال :

كان من مواهب نامق كمال أيضًا حدة اللسان وقوة المناظرة، فلم يناظر كاتبًا أو خطيبًا إلا وأفحمه، فقد كان كَثير التنقيب والمطالعة والبحث، ولم يغادر كتابًا تركيًا أو عربيًا أو فارسيًا مطبوعًا إلا واطلع عليه، ولعل من أبرز المناظرات المكتوبة في عصره هو رده على الشاعر ضياء باشا[26]، الذي اختلف معه في الأدب التركي العثماني فضياء باشا كان يرى أن الشعر التركي العثماني لا يبدع شكلًا أدبيًا خاصًا، وإنما يكتفي بتقليد الأنماط الجاهزة من الشعر الفارسي والعربي، وألف ضياء باشا في ذلك كتابًا وجعله تحت عنوان "خرابات" (Harabat)، وكتب فيه متسائلًا: "ما الشعر العثماني؟"، ثم أجاب عن تساؤله قائلًا: "إن الشعر العثماني ما هو إلا تقليدٌ للشعريين الفارسي والعربي"[27].

هذا الكلام الذي كتبه ضياء باشا أثار حفيظة نامق كمال، وجعله يؤلف كتابين أولهما بعنوان: "تخريب خرابات" (Tathrib-i Harabat)، والكتاب الثاني بعنوان "التعقيب على خرابات" (Takib) ومن خلال الكتاب الأول انتقد نامق كمال ضياء باشا ببيت شعري قائلًا فيه :

يا جامع مجمع الكمـــالات هل كانت لازمة لنا خربات !"[28].

ويعمق نامق كمال انتقاداته ويبرز وجهة نظره بأن الأدب يجب أن يكون وسيلة للإصلاح الاجتماعي والسياسي، لا مجرد زخرفة لغوية خاصة عندما استنكر ضياء باشا وجود الأوزان في الأدب التركي الذي عرف باسم (أدب العجم)، وكتب قائلًا في كتابه "خرابات" :

رغم وجود بعض الزيادات فإنها ناقصة فالأوزان بها أوزان عربية

وجاء رد نامق كمال في كتابه "التعقيب على خرابات" رادًا على ضياء باشا قائلًا :

فلتنظر إلى الشـعر بإمعـــــان ألا تـــوجد عند الـعجم زيادة وأوزان
إنها ظاهرة أيها الأديب السـامي فانظر إلى عبد الغني وعروض جامي[29]

ومن هنا يبرز لنا أن هذين الكتابين لا يقتصران على كونهما مجرد مؤلفات نقدية عابرة، بل يؤرخان لصراع فكري عميق وجوهري في الأدب التركي العثماني، وهذا الصراع ليس فقط معركة بين أساليب شعرية وأوزان، بل

هو انعكاس لصراع أوسع حول الهوية الثقافية والذاتية للأمة العثمانية، حيث تتقاطع فيه الرؤى والتصورات حول هوية الأدب وأصالته ودوره في المجتمع.

خاتمة :

يتضح من خلال دراسة سيرة نامق كمال ومجمل إنتاجه الفكري والأدبي، أنه لم يكن مجرد أديب أو كاتب ضمن نخبة متنورة، بل كان نموذجًا للرجل المثقف الذي آمن أن القلم يمكن أن يكون أداة للتغيير، فالكتابة كانت إحدى أهم أدواته في التعبير عن أفكاره وآرائه، حيث تبنّى خطابًا واضحًا يُناصر فيه مبادئ الحرية والعدل والمساواة، مما جعل منه شخصية مركزية في التيار الإصلاحي.

سعى نامق كمال من خلال أعماله الأدبية والصحفية إلى غرس قيم الوطنية والانتماء القومي، وتبرز قدراته بشكل خاص على توظيف المسرح في خدمة الوعي الاجتماعي، حيث عبّرت أعماله مثل مسرحية "وطن سلسترة" عن مشاعر الانتماء والدعوة إلى التضحية من أجل الوطن.

دعا نامق كمال إلى نظام دستوري يقوم على الفصل بين السلطات وضمان الحريات، مع الحفاظ على المرجعية الإسلامية، وهو ما يُظهر وعيًا مبكرًا بأهمية الجمع بين الماضي والحاضر، وبين ما هو تقليدي وما هو حديث، وقد ساهمت آراؤه وأفكاره في إثراء الحركة الفكرية والسياسية أواخر القرن 19م، وأثّرت لاحقًا في توجهات العديد من المفكرين والمصلحين العثمانيين.

حملت مؤلفات نامق كمال طابعًا نقديًا، حيث لم يتردد في انتقاد السلاطين وشيوخ الإسلام والسياسات التي رأى أنها تعيق تطور الدولة والمجتمع سواء في عصره أو العصر الذي سبقه، كما دخل في منظرات فكرية وأدبية كان أبرزها مع ضياء باشا، وهذا ما يكشف لنا عن صراع حقيقي بين التقليد والحداثة في الساحة الثقافية العثمانية.

الهوامش :

[1] **محصل** : هو لقب لمنصب قديم في الدولة العثمانية، تتمثل مهمة صاحبه في جمع وتحصيل الضرائب. (محمد نامق كمال، فاتحة الفتوحات العثمانية، تر: عبد الله مخلص، المطبعة الوطنية بحيفا، فلسطين، 1909م ، ص 10.)

[2] مجلة الهلال، باب أشهر الحوادث وأعظم الرجال– محمد نامق كمال، الجزء 5، السنة الخامسة، مصر، 1896م، ص 163.

[3] عبد الوهاب عزام، من طرائف الشعر في الأدب الشرقي– نامق كمال، مجلة الرسالة، العدد11، السنة الأولى، مصر، 1933م، ص 27.

[4] **إبراهيم شينازي** : هو أحد أبرز رواد الأدب التركي الحديث خلال القرن 19م، عرف بإسهاماته في تأسيس الصحافة التركية، كان شديد التأثر بالثقافة الفرنسية، ساهم في إدخال مفاهيم جديدة مثل القومية والوطنية للدولة العثمانية، وفي ترسيخ اللغة والأدب التركي الحديث، تميز أسلوبه بالبساطة والوضوح.

(Salih Erol, Türk Basın Tarihinde ibrahim şinasi Efendi ve Tasvir-i Efkâr Gazetesi, Tarih ve Gelecek Dergisi, Istanbul - Turkiye, Cilt 5, Sayı 2 , 2019, S278) .

[5] عبد الوهاب عزام، المرجع نفسه، ص 40.

[6] روبير مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، ج2، تر: بشير السباعي، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، مصر، 1993م، ص ص 71–72.

[7] أكمل الدين إحسان أوغلى، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، تر: صالح سعداوي، ط1، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، تركيا – استانبول، 1999م، ص 320.

[8] **صحيفة تصوير أفكار(Tasvir-i Efkâr)**: هي صحيفة عثمانية أنشئها إبراهيم شينازي سنة 1862م، كانت من أشهر الصحف العثمانية، والتي اهتمت بنشر المقالات الأدبية والفكرية والسياسية، وقد استخدمت أسلوب لغة سهلة وبسيطة ومفهومة حتى تصل أفكارها لعامة الناس (Salih Erol, *Aynı kaynak*,S289).

[9] **مجلة عبريت (العبرة / ibret)**: هي مجلة تعليمية أدبية صدرت بين عامي 1871-1873م في الدولة العثمانية، وكانت بمثابة المصب الرئيسي للكتابات النثرية والنقدية الغزيرة لنامق كمال، وكانت ذات أسلوب سهل ومفهوم قريب لأسلوب الشعب (روبير مانتران، مرجع سابق، ص 75.)

[10] روبير مانتران، المرجع نفسه، ص 75.

[11] محمد نامق كمال، فاتحة الفتوحات العثمانية، مصدر سابق، ص 5.

[12] **حرييت (الحرية / Hürriyet)**: هي صحيفة صادرة سنة 1868م في لندن، كان مؤسسوها مجموعة من الشباب العثمانيين، أبرزهم إبراهيم شينازي، ونامق كمال، وضياء باشا، وكانت هذه الصحيفة مصبًا للكتابات والانتقادات ضد نظام الحكم العثماني في تلك الفترة (روبير مانتران، مرجع سابق ، ص ص 74-75.)

[13] Abdurrahman Nur, İstişari Bir Ümmet Tasavvur Etmek: Namık Kemal'in Anayasal Tahayyülüne Bir Giriş, İslam Tetkikleri Dergisi, Istanbul, Turkiye, Cilt 14, Sayı1, 2024 , S 159.

[14] Salih Erol, *Aynı kaynak*, S 289.

[15] Abdurrahman Nur, Aynı kaynak, S 157- 158.

[16] **حرب القرم** (1853- 1856م): وهي من أشهر الحروب العثمانية الروسية خلال القرن 19م، وسميت بهذا الاسم لأن أهم معاركها دارت في شبه جزيرة القرم، الواقعة شمال البحر الأسود (حسن عبد علي الطائي، روسيا وحرب القرم 1853-1856م، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل– العراق، المجلد 22، العدد4، 2015م، ص 1635.)

[17] Namik kemal, VATAN YAHUT SİLİSTRE Dört fasıl tiyatro, 1 Baskı, Anadoli Üniversitesi Yayinlari , İstanbul, 1939, S 12.

[18] Namik kemal, Aynı kaynak, S 16.

[19] روبير مانتران، مرجع سابق، ص 77.

[20] Abdurrahman Nur, Aynı kaynak, S 162.

[21] روبير مانتران، مرجع سابق، ص ص 76-77.

[22] محمد نامق كمال، فاتحة الفتوحات العثمانية، مصدر سابق، ص ص 39- 40.

[23] محمد نامق كمال، المصدر نفسه، ص 40.

[24] محمد نامق كمال، سيرة الفاتح، تر: عبد الله مخلص، ط2، مؤسسة هنداوي للنشر، مصر، 2021م ، ص 18.

[25] محمد نامق كمال، سيرة الفاتح، المصدر نفسه، ص 45.

[26] **ضياء باشا** : اسمه الكامل محمد ضياء باشا، من مواليد 1829م بمدينة استانبول، وهو من رجال النخبة في الدولة العثمانية الذين نادوا بضرورة الإصلاح، تلقى تعليمه الأول في المدارس العثمانية الحديثة، وأتقن عدة لغات كالعربية والفارسية والفرنسية، اشتغل مبكرًا بالمكتبات، كما شغل عدة مناصب إدارية في الدولة العثمانية، كان من بين المهتمين بالشعر الحديث ونظم عدة أشعار وقصائد. (مصطفى محمد شوقي زهران، الرؤية النقدية الأدبية لضيا باشا (مقدمة كتاب خرابات نموذجا)، مجلة كلية الآداب الفيوم، مصر، المجلد 16، العدد 2، 2024م، ص 1415.)

[27] مصطفى محمد شوقي زهران، الرؤية النقدية الأدبية لضيا باشا (مقدمة كتاب خرابات نموذجا)، المرجع نفسه، ص ص 1418 – 1419 .

[28] مصطفى محمد شوقي زهران، النقد الأدبي في فترة التنظيمات (كتاب تخريب خرابات لنامق كمال نموذجا)، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مصر، المجلد 5، العدد 42، ص 253.

[29] مصطفى محمد شوقي زهران، النقد الأدبي في فترة التنظيمات (كتاب تخريب خرابات لنامق كمال نموذجا)، المرجع نفسه، ص 254.

قائمة المصادر والمراجع:

أ– المصادر :

– محمد نامق كمال، فاتحة الفتوحات العثمانية، تر: عبد الله مخلص، المطبعة الوطنية بحيفا، فلسطين، 1909م.

- محمد نامق كمال، سيرة الفاتح، تر: عبد الله مخلص، ط2، مؤسسة هنداوي للنشر، مصر، 2018م.
- مجلة الهلال، "باب أشهر الحوادث وأعظم الرجال- محمد نامق كمال"، الجزء 5، السنة الخامسة، مصر، السنة 1896م.
- Namik kemal, VATAN YAHUT SİLİSTRE Dört fasıl tiyatro, 1 Baskı, Anadoli Üniversitesi Yayinlari , İstanbul, 1939.

ب – المراجع :

- أوغلى أكمل الدين إحسان، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، تر: صالح سعداوي، ط1، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، تركيا – استانبول، 1999م.
- مانتران روبير، تاريخ الدولة العثمانية، ج2، تر: بشير السباعي ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، مصر، 1993م.

هـ – المقالات:

- عزام عبد الوهاب، "من طرائف الشعر في الأدب الشرقي- نامق كمال"، مجلة الرسالة، العدد 11، السنة الأولى، مصر، 1933م.
- عبد علي الطائي حسن، "روسيا وحرب القرم 1853-1856م"، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل- العراق، المجلد 22، العدد 4، 2015م.
- شوقي زهران مصطفى محمد، "الرؤية النقدية الأدبية لضيا باشا (مقدمة كتاب خرابات نموذجا)"، مجلة كلية الآداب الفيوم، مصر، المجلد 16، العدد 2، 2024م.
- شوقي زهران مصطفى محمد، "النقد الأدبي في فترة التنظيمات (كتاب تخريب خرابات لنامق كمال نموذجا)"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مصر، المجلد5، العدد 42، 2022م.
- Abdurrahman Nur, İstişari Bir Ümmet Tasavvur Etmek: Namık Kemal'in Anayasal Tahayyülüne Bir Giriş, İslam Tetkikleri Dergisi, Istanbul, Turkiye, Cilt 14, Sayı 1, 2024.
- Salih Erol, Türk Basın Tarihinde ibrahim şinasi Efendi ve Tasvir-i Efkâr Gazetesi, Tarih ve Gelecek Dergisi, Istanbul - Turkiye, Cilt 5, Sayı 2 , 2019.